

مغامرات عجيبة جدا
41
جوهرة
دار الدعوة



جوهــــرة

عسكر التتر

وبينما مؤمن يستريح في ظل شجرة مرّق سهم من جانب رقبته ليستقر بقوة في جذع الشجرة .. ففزع وانتفض يقفز خلف الشجرة يحتمي بجذعها .. وأعمل البصر في الغابة حتى يرى من رماه بالسهم ولكنه لم ير شيئاً .. ولم تكن معه أسلحة يدافع بها عن نفسه غير البلطة التي يقطع بها الغاب .. هذا مما جعله يتخذ من حزمة الغاب درعا له وحمله مسرعاً إلى البلدة وهو يلهث .. وتساءل مؤمن من ذا الذي يريد قتلي وأنا لازلت غريباً في تلك البلدة ..؟؟

دار الدعوة

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

سلسلة

مغامرات مؤمن ..

41

جوهرة

معسكر الخطر

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

رقم الإيداع القانونى
٤٦٤٢ / ٢٠٠١م

الترقيم الدولى : 977 - 253 -27[illegible]-1

تحذير
لا يجوز تحويل هذه المغامرات إلى عمل سينمائى أو تليفزيونى أو إذاعى
أو مسرحى أو شرائط فيديو أو (C.D) إلا بالاتفاق والتعاقد مع الناشر .

دار الـــدعـــوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى : ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الاسكندرية .
☎ ٣٩٠١٩١٤ ـ ٣٩٠٧٩٩٨ ـ فاكس ٥٩٠١٦٩٥

جــوهــرة

معسكر الخطر

تأليف / علاء الدين طعيمة

رسوم / يسري حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكري




بسم الله الرحمن الرحيم

هدأت حياة مؤمن فترة من الزمن وانقطع عن مغامراته الرهيبة ردحاً من الزمن . . وكانت أمه فرحة بذلك أيما فرح . . فقد عاد إليها ولدها بعد طول السفر وحرقة البعاد . . فها هو يعود إلى مهنته الأصلية . . وقف يساعدها في عملها الذي تقتات منه . . يحمل السكين ويرحل إلى المستنقع حيث يختفي بين أعواد الغاب يقطع حزماً حزماً وينتخب الجيد الجاف منها ثم يحمله إلى البيت ويضعه مفروشاً فوق سطح البيت حيث يجف تماماً وهكذا يجلس بين يديها منتظراً فى أدب أن تطلبه فى حاجة فيهرع منفذاً ما تطلبه بكل رضا وسماحة، وفى نهاية الأسبوع . . يوم الجمعة يجمع السلال والأقفاص والمشغولات الفنية فى حوش البيت

فإذا جاء سوق الثلاثاء الذي يقام أمام البيت خرج يفرش معروضاته وينتظر أن يأتي تاجراً يحملها موفياً له ولأمه الثمن المربح .

واستمر الحال هكذا فترة من الوقت إلى أن أبت الأيام أن يظل هذا البطل المغوار معطلاً عن مغامراته التي تنشر الخير وتنصر الحق . وحدث ذلك عندما كان يجلس في سوق الثلاثاء بجوار معروضاته عندما أتى أحد التجار يساومه على الثمن . . وعجب مؤمن إذ أن التاجر أجزل له العطاء وزيادة .

- سيدي . . لم كل هذا ؟ . . أنا لم أطلب المزيد . . ؟

- هذه مكافأة لك يا ولدي على حسن صنعتك وأدبك في البيع والشراء . . رحم الله عبداً سمحاً إذا باع

سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا اقتضى .

ـ جزاك الله خيراً يا سيدي . . أمي ستفرح بالمكسب الوفير اليوم .

هَمَّ مؤمن بالانصراف والعودة لأمه . . لكن التاجر ظل واقفاً ينظر إليه :

ـ عفواً سيدي . . لماذا تنتظر . . لقد فرغ الحمَّالون من عملهم وكلهم مستعد للرحيل ؟

اقترب التاجر من مؤمن حتى وضع كفه على كتفه وقال مبتسماً :

ـ في الحقيقة يا ولدي . . أنا في حاجة إليك . .

ـ أنا . . ؟!!

ـ نعم يا ولدي . . أريدك أن تأتي معي إلى بلدي التي

آتي منها كل ستة أشهر . .

ـ عفواً سيدي . . أرجو أن توضح لي . .

ـ يا ولدي . . أنا كما ترى وهن العظم مني ولم أعد أحتمل السفر . . في بلدنا لا يوجد مَنْ يجيد الصنعة التي تحترفها . . للأسف . . فكل ما نستطيع عمله هو سلة متواضعة من القش . . لهذا فأنا أمتلك متجراً لبيع المصنوعات الغابية . . وأربح منه ربحاً يوفّر لي ولأسرتي حياة متواضعة . . ولكن بعد زمن قليل سأعلن إفلاسي ولن تكون لي ولأسرتي حياة بالمرة . .

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله . . لماذا تتوقع السوء يا سيدي ؟

انحدرت دمعتان على استحياء من مقلتي التاجر



العجوز وقال :

ـ لقد تعبت يا ولدي من السفـر كما ترى ولم أعد قادراً على مواجهة قطاع الطرق . . لهذا لن آتي إليكم ثانية هنا في مصر ولن أجد بضاعة أضعها في متجري .

أحس مـؤمن بالأسف على مـا آل إليه حـال الرجل وحاول أن يهوّن من حزنه :

ـ سيدي . . لا عليك . . اسمع . . أنا في خدمتك من الآن . . ولكن قل لي ما الذي أستطيع عمله لك ؟

ابتهج الرجل وقال بلهفة :

ـ أشكرك يا ولدي . . إنها شهامة المصريين حقاً . . هل توافق أن تأتي معي إلى بلدي . . فقط حتى تقيم هذه الصناعة الفنية هناك وتعلمها للناس فتنقذني من الفقر

ابتسم مؤمن وقال :

ـ أنا بإذن الله أوافق على عرضك . .

استضاف مؤمن التاجر عم رمضان فى بيته ليلتهما وتم له الحصول على موافقة أمه التى فرحت لأنه سينقل هذا الفن الجميل لبلاد بعيدة .

وفي الصباح خرج مؤمن يحمل متاعه وأسلحته التي ترافقه في كل مغامرة وتعجب عم رمضان:

ـ ما هذه الأسلحة يا مؤمن . . سيف وقوس وخنجر ودرع . . هل خرجت تجارة أم حرباً .

ضحك مؤمن وهو يهتز فوق حصانه وصاح بينما يهم بالإسراع لبدء الرحلة :

ـ أظن أنه في الطريق سيكون هناك متسع من الوقت

لشرح ذلك .

ظلت الرحلة وقتاً طويلاً وخاب فيها ظن مؤمن عندما لم يجد ما هو مثير للمتاعب كما كان يحدث له كل مرة.. فقد كانت رحلة هادئة.. هو وعم رمضان كل منهما على جواد ويسحبان وراءهما جملاً يحمل كوماً عالياً من المصنوعات الغابية.. ويتسليان طول الطريق بالحديث أو يمضي كل منهما يقطع الوقت بمداومة الذكر الطيب لأسماء الله الحسنى أو صفاته أواستعادة ما يختزنه الذهن مما حفظ من آيات الذكر الحكيم .. القرآن الكريم .

وبعد أن ساد صمت طويل في آخر أيام الرحلة نظر مؤمن لعم رمضان وقال له وقد رأى على وجهه مسحة

من هَمٍّ :

ـ مـاذا بك يا سيـدي . . أرى أن الرحلة قـد أوشكت على الانتهـاء وسوف تعود إلى أهلك بســلام إن شاء الله . . فما الذي أهمَّك ؟

ـ حديثك الأخير يا مؤمن عن مغامراتك الكبرى .

ـ حسبت أن الحديث سيسعدك .

ـ أسعدني . . أسعدني كثيراً يا ولدي والله . . لكنه مع ذلك ذكرني بهموم قديمة .

ـ هموم ؟! . . أي هموم ؟

ـ لا عليك يا مـؤمن . . لا عليك . . أنا أحلُم . . إنه مستحيل .

ضحك مؤمن ثم قال بفضول :

- هموم وأحلام وكلام غامض . . ألا تثق بي يا سيدي وقد هجرت بلادي معك ؟

- لا والله يا مؤمن . . يعلـم الله أنني قد أحبـبتك . . ولكنـي لا أريد أن أقص علـيك مـا قـد يـفـوق تحدياتك . . وأنا أريد منك فقط أن تعدني .

- بماذا ؟

- تعدني إذا حكيت لك أن تبقي في مهمتك التي جئت معي من أجلها . . وهى أن تعلم الأولاد صناعتك . . هل تعدني يا مؤمن ؟

أخذ مؤمن يفكر برهة ثم قال :

- أعـدك يا سيـدي . . لكن أحتـفظ لنفـسي بطلب أن تحلني من هذا العهد إذا طلبت منك ذلك.

ـ هذا يمكن أن يحدث تحت ظروف صعبة لا أعلمها . . أرجوك تجارتي في خطر وأنت المنقذ بإذن الله . . فلا تتركني وتحارب الأعداء .

ـ ها . . أي أعداء إذن . . احكِ لي . . لقد وعدتك .

ـ لقد تعبت يا مؤمن وأظن أن الحيوانات أيضاً تريد الراحة . . ما رأيك أن نعسكر هنا ونبتغي الراحة ليلتنا .

ـ لك ما شئت يا سيدي . .

ونزلا من فوق جواديهما وأعدا مكاناً للحيوانات ومكاناً لهما وتناولا في الظل لقمة العشاء وقد أشعلا حطباً للتدفئة . .

ـ هل آن الأوان لتحكي لي يا عم رمضان .

تَنَهَّد عم رمـضان وشرد ينظر للغـيوم كأنه يبـحث بينها عن نجم قد توارى ثم قال :

ـ بعـد يومين يا مـؤمن سنصـل بإذن الله إلى بلدنا . . وستعرف الأمر من الناس ولكني سأقص عليك مرارة يعـاني منهـا كـل بيت في البلد . . نـحن يا ولدي والحمد لله مسلمـون موحدون بالله ولكن مع الأسف نحن من الأقليـات السلمة بعـيدون عن بقـية العـالم الإسلامي ومـعظم جيـراننا من الكفار الذين يعـبدون من دون الله أشياء عجيبـة مثل البقر والنار وغيرها . . وقليل من جيـراننا من أهل الكتاب . . ولهذا فـدائماً نحن مـضطهدون ومـقصـودون بالحرب والدمـاء ولقد دارت بيننا وبين بلاد قريبة منا حروب قديمة . . لم تكن تنتهي . . إلى أن جاءت معركـة هزمونا فيها



وأسروا منا خيرة الرجال والشباب .. وهددونا إذا لم نمتثل لطلباتهم وأوامرهم أن يقتلوا الأسرى.. ولو كنا استطعنا أن نحصل على أسرى منهم لبادلناهم .. ولكن للأسف ..

ـ هل هناك أحد من أقاربك بين الأسرى يا عم رمضان ؟

ـ كلهم يا ولدي .. أي فرد من المسلمين هو أخ وابن وأب وعم .. كل أهل القرية أهلي .. أنا ليس لي إلا ولد واحد يا مؤمن وليته ذهب مع من ذهبوا إلى الأسر.

ـ عافاك الله وعافاه يا سيدي.. لم تقول ذلك؟

ـ كان يمكنك أن تفكر قبل أن تسألني يا مؤمن..

فتسألني سؤالا آخر. تسألني وتقول لي.. لماذا لا يسافر ويدير تجارتك بدلاً منك ؟.. ألم يكن من الأفضل يا مؤمن أن أحضره إليكم يتعلم منكم ثم يرجع لنا بالخبرة والخير ؟

همهم مؤمن وأطرق خجلاً يفكر فلاحقه عم رمضان قائلاً :

ـ لا عليك يا مؤمن .. لا عليك .. ولدي طيب القلب .. مؤدب .. لكن أصدقاء السوء يا ولدي خيبوا ظني فيه .. فهو يحب الترف والسهر ولا يدرك قيمة المال ولا الوقت .. أشياء كثيرة تؤلمني منه.. وقد أكون أنا أحد أسباب إنحلاله بما كنت أغدق عليه من المال.. على العموم هذا ليس حديثنا

الآن.. المهم أننا نعيش في مذلة .. وخيرة شبابنا أسرى في معسكر العدو يسومونهم العذاب ويسخرونهم في الأعمال الشاقة .

ـ سيدي .. هذا أمر لا يمكن السكوت عليه .

انتفض الشيخ رمضان وأمسك مؤمن من كتفيه وهزه وهو يقول :

ـ مؤمن .. لا تنسى أنك قد وعدتني .. هل نسيت ؟

ـ لا .. لا لم أنس .. وأنا عند وعدي يا سيدي .. لا تخف .

ـ ولكني أرى الغضب في عينيك يا مؤمن .. ملامحك تنذر بشيء غامض.

ـ إنه الغضب المحمود يا سيدي.. لابد.. بل على كل

مؤمن أن يغضب لدينه وللمسلمين غضبة تهتز لها قواعد الأعداء وترتجف منها قلوبهم اسمع يا عم رمضان.. لقد وعدتك.. ولابد أن أُنفذ وعدي ولكن إذا قمت بعملي على خير وجه ورضيت عني.. فلن تملك لي أي عهد بعد ذلك.. ماذا قلت؟

ـ اتفقنا يا فهد الإسلام .

ومرَّت الأوقات الباقية في الرحلة ولم يتبق على الوصول إلى المشارف الهندية غير عبور النهر الثائر دائماً.. ولكن عبوره لم يستغرق جهداً أو وقتاً بسبب تلك العبَّارات الخشبية التي صنعها الناس لهذا الغرض من قبل ووصل مؤمن وصاحبه التاجر إلى البلدة التي

اعتبرها مؤمن قطعة من الجنة فكل مـا فيها من جبال أو أشجار أو مـصبات مياه لم تر عـيناه مثله من قبل ومع ذلك فالناس كأنهم لا يرون كل هذا الجمال أو كأنهم.. تناسوه .

وعندما وصلا إلى بيت عم رمضـان الذي فيه المتجر سأل عم رمـضان عن ولده فأخـبروه أنه لدى أصـدقائه فحزن لأنه لم يخـرج لاستقباله ولم يقـلق لغيابه ولكن مؤمـن كان يلطف من حـدة الموقف بأنه لا يعر المسـألة اهتمامـاً حتى لا يثير أحزان عـم رمضان الذي بالغ فى الاهتمام بضيفه وتوفير وسائل الراحة له .

وانقـضى الليل ومـؤمن يتـعـرّف على أغـراض عم رمـضان ومـتجـره ثم المكان الذي سيُـعَلِّم فيـه الأولاد

الصنعة، والذي سيبيت فيه بعد انتهاء العمل . . وطلب مـؤمـن من عم رمـضـــان أن يوفــــر له بعض الآلات المستخـدمة في الصناعة وأخبره أنه سـوف يقوم بتصنيع معدات لن تتوفر بســهولة لجهل الناس بها . . وبعد . . فقـد استـأذن من عم رمضان وذهب لينـام ولكن مؤمن كان يعرف أنه سينتظر حضــور ولده حتى يوبخه ويُعنّفه على فـعلتـه . . فآثر ألا يتـدخل إلا إذا لزم الأمـر . . ومضى الليل بطولـه وكعادة مؤمن لا يـستطيع النوم في الليلة الأولى من مـغـامـراته حـتى يتـعـود على المكان وظروفه الجديدة عليه .وسمع أذان الفجر فقام لا يعرف مكان المسجـد وخرج يبحث فإذا بصــوت عالٍ يأتي من بيت الحاج رمضـــان . . وأدرك أنه يُعنِّف ولده . . فهرع

إليه ووجده يحاول ضرب ولده .. فأنقذه منه وكانت صلاة الفجر هي ما جعلت الرجل ينصرف مع مؤمن تاركاً ولده ينام كالحيوانات :

ـ سيدي .. تقبل الله صلاتك .

ـ وإياك يا مؤمن .. لعلي أرجع لأجده قد نام فيريحني من جهد ضربه وتأديبه .

ـ وهل تعوّدت على ضربه يا سيدي ؟

ـ لم يحدث من قبل يا مؤمن .. حتى أنني لم أضربه على ترك الصلاة في صغره وقد يكون ما يحدث عقاباً لي على إهمالي في تربيته .. أليس كذلك يا مؤمن ؟

ـ عفواً سيدي .. هل أهملت تعليمه الصلاة فقط أم

أشياء أخرى أيضاً ؟

ـ ماذا تقصد يا مؤمن . . .

ـ هل علَّمته الصيام والزكاة وتعاليم الدين . . وحفظ القرآن والأحاديث النبوية الشريفة . . هل علَّمته حدود الله حتى لا يتعداها في الدنيا ويفوز في الآخرة؟

طأطأ عم رمضان رأسه ولم يُجب على إهماله فقال له مؤمن:

ـ عم رمضان . . لابد أنك تعرف معنى عقوق الإنسان لوالديه . .

ـ أعلم . . أعلم أيضاً أن الرجل يمكن أن يعق ولده عندما يهمله ولا يوجهه إلى الطريق السليم عندما يجعله يخسر الآخرة بإهماله له في الدنيا .

توقف عم رمضان وواجه مؤمن وفي عينيه بريق يترقرق وحار في أمره ثم نطق كالمدفع :

ـ والنقود والطعام واللباس والرعاية بالترف والسعادة . . ما جزائي ؟

ـ هذه نِعَم الله علينا يا سيدي . . إنها سلاح ذو حدين يحارب به الإنسان آفات الدنيا ليفلح في الآخرة . . أما أن يكون المال معيناً لصاحبه على الغفلة والبعد عن الله فهو الكفر بالنعمة . . مثل الدبة التي قتلت صاحبها .

ـ دبة . . أي دبة ؟

ـ كان رجل لديه دبة تحبه . . وكان ذات يوم نائماً فرأت الدبة ذبابة تحوم على وجهه . . فلما أرادت أن

تهشها . . حملت حجراً ثقيلاً وألقته على وجه صاحبها فقتلته .

ـ أتقصد أنني عاق لولدي يا مؤمن ؟

ـ كان أبي فقيراً يا سيدي . . لم يكن لدينا أي مال غير الذي نقتات به يوماً بيوم ومع ذلك فقد كان لا يذوق طعم النوم حتى أحفظ ما عليَّ من آيات القرآن وفي كل موقف كان هناك حديث من سنة النبي ﷺ . . كلام النبي الشامل الجامع الذي يناسبه . . وكان أبي يرشدني لحفظه والعمل به . . المال والترف ليس كل ما يهم الإنسان في الحياة يا عم رمضان . . لكن . . لكن حسي لم يخبرني أن ولدك جاهل لهذا الحد . .

ـ صدق حسك يا مؤمن . . ومع ذلك فإن أخواله

وأعمامه حاولوا معه فيما أهملته أنا . . لكنه ليس بالشيء الكافي . . نعم . . أنا ظلمت ولدي ويجب أن أُعاقِب نفسي قبل أن أعاقبه .

ومرَّت الأيام الأولى لمؤمن في البلدة وبدأ يتأقلم على أسلوب الحياة فيها وبين الحين والآخر يتتبع أخبار الأسرى في معسكر الأعداء ويسرح خياله في الكيفية التي ينتصر بها للمسلمين ويعيد الأسرى إلى أوطانهم. . وحاول مع ذلك أن يتقرب إلى مسعود ابن عم رمضان ويجذبه إلى تعلم الحرفة الجميلة لكنه فشل. . فلم ييأس وأخذ يكرر المحاولات .

وفي ذات يوم خرج مؤمن إلى مستنقع على حدود البلدة ليقطع حزم الغاب التي يحتاج إليها في عمله. .



وبينما هو جالس يستريح في ظل شجرة مرَّق سهم من جانب رقبته ليستقر بقوة في جذع الشجرة .. ففزع وانتفض يقفز خلف الشجرة يحتمي بجذعها .. وأعمل البصر في الغابة حتى يرى من رماه بالسوء ولكنه لم ير شيئاً .. ولم تكن معه أسلحة يدافع بها عن نفسه غير البلطة التي يقطع بها الغاب .. هذا مما جعله يتخذ من حزمة الغاب درعاً له وحمله مسرعاً إلى البلدة وهو يلهث ولما قابله عم رمضان أنكر ما كان عليه:

ـ مؤمن .. ماذا بك يا ولدي ؟ .. ما الذي حدث؟

حكى مؤمن القصة وعم رمضان في دهشة وجلسا في الورشة يستعرضان الاحتمالات التي يمكن أن تفسر هذه المحاولة لاغتيال مؤمن فمنها أن عم رمضان ظن أن

أحد الناس يريد به وتجارته شراً .. فحاول قتل مؤمن الذي يقيم له الصناعة في المتجر .. وظن أيضاً أن مسعود قد يحاول قتل مؤمن لغيرة تملأ قلبه منه .. ولكن مؤمن استبعد ذلك الاحتمال .

وعندما ظنا أنه قد يكون أحد الصيادين وأن السهم طائش .. ارتاحا إلى ذلك الاحتمال خاصة أن ليس لمؤمن أي أعداء بهذه الناحية ..

وعادت الحياة من جديد بشكل طبيعي وحدث نزاع آخر بين عم رمضان وولده لرفضه العمل بالمتجر أو بالورشة مع مؤمن :

ـ أنت أيها الولد البائس .. إلى متى ستظل هكذا بلا عمل ؟ هه ؟

ـ ولماذا أعمل . . لدينا كل شيء نحتاج إليه . . هل رأيت يا أبي أحداً من أصدقائي يمارس عملاً .

ـ لأنهم يعتمدون عليك وعلى المال الذي تأخذه مني . . إنهم يستغلونك يا مسعود يا بني . .

ـ وماذا في ذلك؟ . . الصديق لصديقه . . الأخ لأخيه . . ومن معه المال يغدق على من ليس عنده المال .

وفشل عم رمضان في إقناع مسعود كالعادة وتدخل مؤمن لفض النزاع بينهما ثم جذب مسعود من يده ودعاه للتنزه في الحقول :

ـ مسعود . . هل أخبرك بشيء ؟

ـ لا . . ستكرر ما قاله والدي . . وأنا لا أحب الحديث في هذا الأمر أبداً .

ـ لا . . والدك كان يحدثك عن ضرورة العمل معه في المتجـر . . أما أنا فلي معك حـديث آخر . . إنه عن أصدقائك . . احك لي عنهم يا مسعود .

ـ إنهم ثلاثة مـن أفـضل الشـبـاب . . مـراد وعـزمي وبسيوني .

ـ ماذا تعملون طوال الليل ؟

ـ يبـدو أنك صـاحب حظ يـا مـؤمن . . ويبـدو أنك ستكون خامسنا . . هل أخبرك بسر لا تقوله لأبي ؟

ـ ولا لأي أحد . . اطمئن . .

ـ بالليل نذهب إلى بيت عـزمي ونسهر ونشرب الخـمر وتأتي إلينا راقصـة تجعل الليل في منتهى الجـمال . . هاهاها . . ها . . مؤمن . . هل ستأتي معي الليلة ؟

ـ ومن . . ومن الذي ينفق على الطعام والشراب وأجر الراقصة وإلى آخره ؟

ـ أنا . .

ـ وهل من أحد من أصدقائك من ينفق مثلك ؟

ـ في الحقيقة لا . . إنهم يعتمدون عليَّ في هذه المسألة . . لكن . . لكن لو طلبت من أحد منهم أن يخرج قرشاً من جيبه لفعل على الرحب والسعة إنهم أصدقاء بحق .

ـ ولماذا لا تفعل ذلك ؟

ـ أريد أن أكون أحسن واحد فيهم . . اتفضَّل عليهم ولا يتفضَّلون عليَّ .

ضحك مؤمن بشدة حتى يثير فضول مسعود لما

سيقوله وقد كان :

ـ على أي شيء تضـحك يـا مـؤمن؟.. قل.. قل لي حتى لا أغضب منك ؟

جلس مؤمن على حـجر كبـير وأجلس صاحـبه ثم همس في أذنه قائلاً :

ـ مسعود .. لماذا لا تجرب التحدي ؟

ـ تحدى .. أى تحدى ؟

ـ أنا أتحداك مع والدك تحد كبير.. فهل تقبل التحدي ؟

ـ وضح مـــا تقـــصـــد يا مـــؤمن.. هل تعـنى بذلك أصدقائى؟

ـ ولد ذكى أنت والله .. اســمــع أنا ووالدك نقــول أن أصدقاءك ماهم إلا حفنة من المستغلين.. هم سيظلون

حولك ينافقونك مادام فيك طعم العسل.. صداقة مزيفة لأنها تقوم على الإستغلال المادى.

ـ وأنا أقول لكما عكس ذلك.. إنهم أصدقاء أوفياء بمعنى الكلمة.. واتحدى.. أتحدى من يأتى بعكس ذلك.

ـ إذن نعمل تجربة.. تجربة تثبت بها اعتقادك أو اعتقادنا.. ماذا قلت؟

وقبل أن يجيب مسعود على اقتراح مؤمن إذ بخنجر يمرق بجوار مؤمن.. لو أصابه لمات في الحال.. وانتفض مؤمن مستلاً سيفه وجرى ومعه مسعود خلف الرجل الذي حاول اغتيال مؤمن للمرة الثانية وجرى الرجل منطلقاً بين الأحراش ووراءه الغلامان.. وأصبح

مؤمن يراه بوضوح فـأستل سهماً من جعبـته وجذبه فى القـوس وقـبل أن يرمـيـه به سقـط الرجل فى شق بين صخرتين فهوى يتحطم جسده حتى غاب فى عمق بعيد وحاول مؤمن أن ينزلق خلفه ولكن مسعود منعه :

- مؤمن هل جننت . . إنه شق عميق جداً . . لم يجرؤ أحـد على النزول فيـه أبداً . . ثم إن الرجل قد مـات وتحطم جسده تماماً ولن تعثر منه على شئ .

- أريد أن أعرف لماذا أراد قتلى؟ . هذه ثانى محاولة له .

وعاد مـؤمن مع مسـعود . . وعند التـاجر العـجوز عم رمضـان دارت المناقشـات . . وكان لعم رمـضان رأى آخر . . فلقد جمع رجالاً أشداء وقال:

- حدثتنى نفسـى كثيراً منـذ الطفولة بمعرفة مـدى عمق الشق الذى بين الصـخرتين ويبدو أنه قـد أتى الوقت

لمعرفة ذلك.. يجب أيضاً أن نرى وجه الرجل لنعرف من هو حتى نقف على سبب محاولة الاغتيال.

وربط الحبل من طرفه في شجرة وتدلى من الطرف الآخر رجل .. وبعد فترة طويلة جذب الحبل من العمق فسحبوه وهو يحمل معه جثة الرجل الآخر.. وعندما رأوه لم يتعرف عليه أحد :

- لا تقلق يا مؤمن.. هذا الشخص ليس من بلدنا.. ويبدو أنه عدو قديم لك من مغامراتك السابقة وأراد أن ينتقم منك فانتقم الله منه.. حمداً لله على سلامتك

وعاد مؤمن يمارس نشاطه من جديد وهو يفكر في أي مغامرة كان هذا الرجل ولكنه لم يتذكر أي شئ ..

وعاد مسعود يأنس له ويحبه واستغل مؤمن هذا الأمر وذكره بالتحدى فكان مسعود مستعداً لذلك وقال له :

ـ عرفنى يا مؤمن ماهى التجربة التى ستقوم بها ؟

ضحك مؤمن وقال :

ـ بالليل سأقص عليك الأمر وسأطلب منك أشياء عليك بتنفيذها . . لأن عم رمضان سيكون طرفاً فيها .

ومضى الليل واتفق الثلاثة على تفاصيل الخطة . . بينما كان مسعود واثقاً من أصدقائه وعندما جاء الصبح رأى الناس عم رمضان وهو يذهب بإبنه مسعود إلى الميدان العام عارى الصدر وقيده إلى جزع شجرة بالحبال ومثل كأنه يجلده بالسوط فلما تجمعوا حوله صاح فيهم

ـ أشهد كم أن ابنى مسعود قد عصانى وأنا أقوم بتأديبه

الآن . . وليس لأحد أن يمنعنى من ذلك . .

وانتشر الخبر فى البلدة كلها وحضر أصدقاء مسعود ينظرون إليه من بين الناس دون أن يراهم فلما تيقنوا من حاله عادوا يبتعدون كأنهم لم يروه . وبعد ساعات ذهب مؤمن وحل وثاق مسعود وقال له .

ـ والآن اذهب لأصدقائك المزعومين وأطلب منهم العون . . واعلم أنهم قد رأوك على حالك وتهربوا قبل أن تراهم . . ولكنك لن تصدقنى إلا بعد أن ترى بنفسك .

وانطلق مسعود عارى الصدر ممزق السروال حافى القدمين إلى بيت صديقه مراد ولما نادى عليه فتح له بعد تردد فقال له مسعود :

ـ مـراد . . صديقى . . انقـذنى يا أخى . .لقـد طردني والدي وأريد معاونتك.

ـ لا تخشى شيـئاً يا مسعود . . غداً سوف يـعيدك إليه ويعطيك ما يشبعك .

ـ لا . . لا يا مراد . . أنا أعلم بوالدي من أي أحد . . لقد أقسم ألا يعطيني شيئاً بالمرة . . لقد حرمني حتى من الميراث . . أرجـوك اعطني شيئـاً أتبلغ به فأنا في شدة الجوع .

تلعثم مراد ثم قال في حرج بالغ :

ـ في الحـقيقـة يا مسـعود . . لا يوجـد لدي أي شيء أعطيـه لك . . أنصـحك بـالذهاب إلى عـزمي . . أعتقد أن لديه المال الكثير .

وأغلق مراد الباب في وجه مسعود الذي صُدِم صدمة كـبيـرة وجـرى ليلحق بمنزل عـزمي عـسى أن يكسب التـحدي وهناك ظل ينادي وينادي ويقـرع الباب حـتى خرج إليه عزمي :

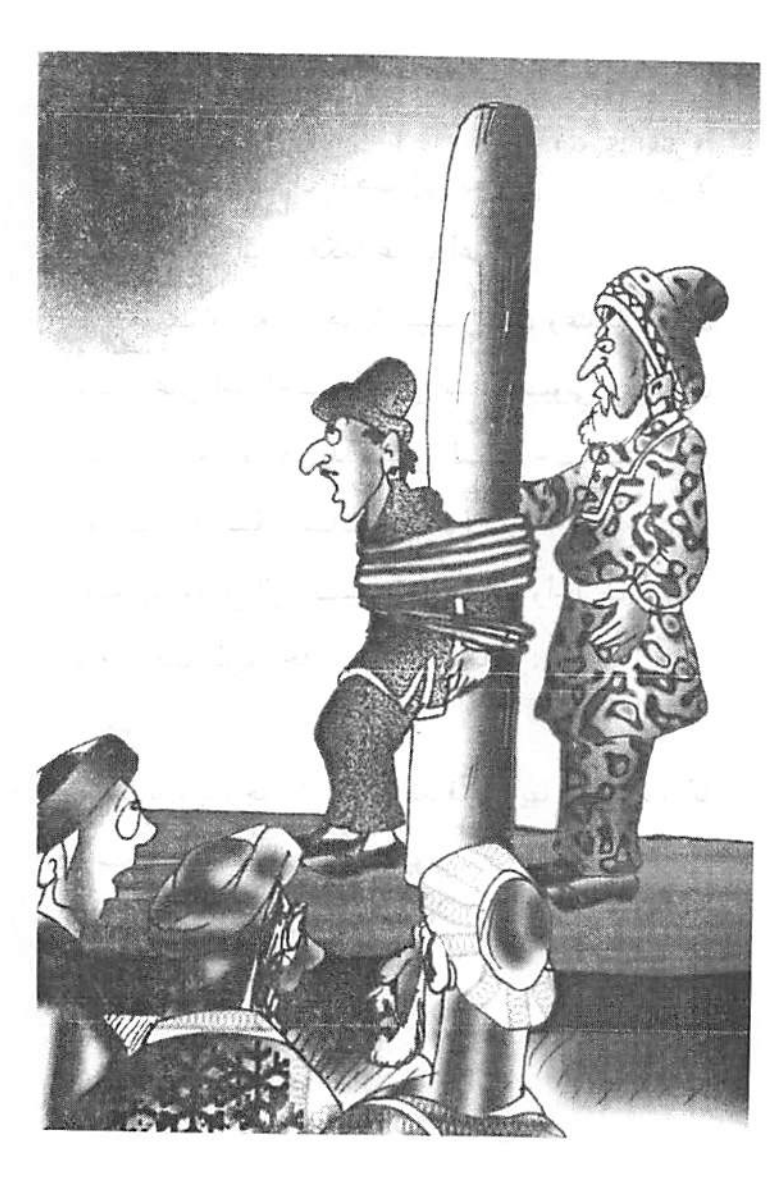
ـ عزمي . . صديقي الحبيب . . هل رأيت ما حدث لي؟

ـ وماذا تريد مني بالضبط الآن ؟

ـ مـاذا أريد ؟ . . عزمي . . هل هذا هو مـا لديك؟ . . أنسيت أنني أنفق المال عليكم كل ليلة . .

ـ ولن تنفق شـيئـاً بعد الآن . . اسـمع . . ورائي الآن عمل ولابد أن أذهب . .

ـ أنت لا تعمل . . ولديك مال كثير . . قف بجانبي يا صديقي .



ـ من الأفضل لك أن تذهب إلى بسيوني . . وأرجو ألا أجدك لدي الباب هكذا عندما أعود . .

انصرف مسعود وهو كسيف البال وعندما أراد أن يبقى على أمل أخير اتجه إلى بيت بسيوني وقبل أن يصل إليه رآه وهو يدلف إلى البيت حاملاً بعض الأكياس الممتلئة بالفاكهة والمأكولات . . فهرع ينادي عليه ولما وصل إلي البيت قرع الباب وأخذ ينادي . . وبعد وقت طويل جداً . . خرج الخادم :

ـ نعم ؟

ـ ماذا بك يا رجل ؟ . . ألا تعرفني أيها الخادم . . أنا سيدك مسعود . . صديق بسيونى.

ـ عفواً يا سيدي . . ماذا تريد ؟

ـ أريد سيدك بسيوني .

ـ إنه ليس بالدار يا سيدي .. خرج منذ الصباح ولم يعد حتى الآن .

ـ ماذا .. ماذا تقول ؟ .. هل ينكر نفسه مني .. لا حول ولا قوة إلا بالله .

وهنا ظهر مؤمن ومعه جلباب أعطاه له واحتضنه وكان يبكي وقال له :

ـ هيا بنا يا مسعود إلى البيت .. هيا بنا ..

وأحس مسعود في البيت بالندم على كل ما فعله وعلى مصاحبته لأصدقاء السوء وأخذ يقبل يد والده ويبكي وعاهده أمام مؤمن ألا يعود لمثل ما مضى وأن يرافق مؤمن ويتعلم منه كل شيء .. ولم يصدق عم

رمضان نفسه .. بل أخذ يشكر مؤمن على صنيعه وهو لا يجد مكافأة يكافأه بها .

وغدا مسعود بعد هذه الحادثة إنساناً آخر .. جلس مع مؤمن في الورشة واستخدم ذكاءه حتى أصبح أمهر الغلمان وبين المغرب والعشاء يذهبان للمسجد يتدارسان الدين والعلم ويحفظان القرآن .. فكان عم رمضان سعيداً وكأنه عثر على دابته التي تاهت في الصحراء .

ومضت الأيام ولكن لم يتوقع أحد أن تتكرر الحادثة التي حدثت لمؤمن.. فبعد أن صلى العشاء وخرج هو ومسعود من المسجد إلى البيت إذا بالسهام تنهال عليهمَا من اتجاه واحد فهرعا يهربان إلى ما بين المساكن.. وبعد أن عادوا إلى البيت أدرك مؤمن أن هناك من يتعمد

الخلاص منه .

وجلس إلى عم رمضان الذي قال له بلهفة آسفة :

ـ مؤمن يـا ولدي . . إذا أردت أن تعود إلى مصـر فلك ذلك . . أنا لا أريد أن أتـسـبب لك فـي الخطر الذي يداهمك بي الحين والآخر .

ـ سيدي . . لا تقل ذلك ولو أنني والحمد لله قد أدَّيت مهـمتي وأصبح لديك طاقم من الـصناع المهرة وعلى رأسـهم مسـعود ويمكنـهم أداء ما هو أفـضل مني ، لكن . . لقـد استـفزَّنـي الأمر الخطر هنا . . وكل مـا أطلبـه منك أن تحلني من العـهـد الذي أخـذته عليّ وتدعني أبحث عمن يبحث عـني ليقتلني . . هناك من يرسل رجـالاً لقـتلي . . وهذا لـيس بالأمـر الهين يا

سيدي.

قال عم رمضان بعد برهة من التفكير :

ـ لك ما شئت يا مؤمن .. لكن ماذا لو بقيت عندنا هذه الفترة حتى نساعدك وتساعدنا .

ـ على الرحب يا سيدي .. وسأكون شاكراً لك .

ـ وفي صباح اليوم التالي تعمَّد مؤمن أن يحمل أسلحته ويذهب يتجوَّل في الغابة وهو على يقين أن الذي حاول قتله بالأمس سيتبعه في النهار .

وصمم مسعود على عدم ترك مؤمن وحده رغم إقناع الأخير له بخطورة ذلك على حياته ..

وفي الغابة أخذا يتجولان كأنهما يبحثان عن صيد ثمين .. واستجمع مؤمن كل حواسه واستعد بكل

جوارحه حتى يواجه الخطر قبل أن يتمكن منه .

ونحن نعلم أنه قد اكتسب خبرات عديدة فيما مضى من مغامرات وتدرب تدريبات كثيرة مكنته من معرفة الأشياء بالحس والحدس قبل أن يراها بعينيه وحدث أن سمع صوتاً هز الأعشاب على مسافة كبيرة .. فإن هي إلا لحظة خاطفة كان السهم ينطلق من قوسه نحو الهدف وأثار ذلك دهشة مسعود وصاح فيه مؤمن وهو يجري :

ـ اتبعني يا مسعود ..

وجرى مسعود وراءه فوجدا جثة غزالة أصابها السهم ظناً أنه القاتل وفرح مسعود وجلس يضحك :

ـ أبي سيسعد كثيراً بهذه الغزالة ..

أخـذ مؤمن يضـحك ولكنه نظر فـجأة إلى السـهم المغروس في الغزالة ثم قفز على مسعود وهو يصيح به:

ـ انبطح أرضاً يا مسعود . .

ولولا أن فطن مـؤمن في آخـر لحظة لأصـابه هو أو صديقه سـهم مسموم. . وترك مـؤمن على الفور المكان واندفع يجـري في اتجاه الرجـل الذي رماه بالسـهم . . وحدثت مطاردة رهيبة وسريعة . . القاتل يجري بجنون ومؤمن وراءه ومسعود وراءهمـا . . وكلما حانت فرصة لمؤمن يرمي الرجل بسـهم ولكن القـاتل كان بارعـاً في الهرب . . كانوا يقـفزون فوق الصخور ويتـتابعون على الأشجـار كالقرود . . وفـجأة سقط الرجل صـريعاً إثر سهم مقذوف من اتجاه آخـر . . وظن مسعود أن مؤمن



هو الذي أصاب الرجل ولكنه عندما رأى جثة الرجل فوجئ بمؤمن يقول :

ـ مَنْ الذي قتل هذا الرجل يا مسعود ؟

ـ ألست أنت ؟

ـ لا . . ما الذي يحدث في هذه البلاد؟ أكاد أُجَن يا مسعود . .

ـ أنا الذي سأجن يا مؤمن . . كيف عرفت بوجود هذا الرجل . . ألست أنت الذي قتل الغزالة ؟

ـ مسعود . . ساعدني في تفتيش ملابس هذا الرجل فقد نتعرَّف على هويته .

وأخذا يقلبان في أغراض القتيل وفي جيوبه . . كان بها قليل من المال وبعض المقتنيات ولكن في جعبة

السهام الخاصة بالرجل عثر مسعود على لفافة من جلد الماعز ووجدوا بها كلاماً فقرأه وهو يتعجّب :

ـ «معسكر الخطر الأعظم.. مطلوب حياً أو ميّتاً.. مكافأة قدرها ألف ألف جنيه ذهبي.. الاسم.. مؤمن.. الجنسية.. مصري.. الديانة .. مسلم» .

جلس مؤمن ومسعود فترة طويلة في حالة من الذهول والدهشة بعدها نطق مؤمن وهو يخبط بكفه على صدره قائلاً :

ـ أنا؟.. أنا؟.. لماذا.. من الذي يريد رأسي؟.. ماذا فعلت بهم؟

لم يكن هناك أي شيء يتوصلان إليه ولكن مؤمن فهم بعض الأمور وعندما عاد للشيخ رمضان قصّ عليه

الأمر.

ـ عندما وقع الغزال يا عم رمضان كنت أظن أنني الذي أصبته ولكن وجدت السهم الذي قتله غير السهام التي معي تماماً. . فأدركت في الحين أنها مصيدة قد نُصِبَت لنا لكن يبدو أن من حاول صيدنا كان هناك من اصطاده .

ـ ولماذا لم يقتلك أنت وقتل الآخر .

ضحك مؤمن وقال :

ـ القاتل كان ذكياً سيدي. . فلو قتلني لأضطر للتنازع مع الآخر على جثتي. . فأراد أن يقتله أولاً ثم يقتلني ليفوز بالغنيمة وحده ويحصل على المكافأة .

وقبل أن يسمع مؤمن رد عم رمضان . .إذ بطارق

يطرق باب البـيت .. فقام مـسعود يفـتح ليجـد رجلاً كهلاً يستند على عصاه ودخل يعرج :

ـ مؤمن .. أين أنت؟ . أين أنت يا مـؤمن ؟.. كيف تكون هنا وأنا أبحث عنك ..؟

ـ عـفواً سـيدي .. تفـضَّل .. من تكون ؟. وكـيف عرفتني ؟

ـ وهل في بلاد السند والهند من لا يعرفك يا ولدي .. ويعرف مغامراتـك العظيمة .. لقد كنت أبحث عنك منذ سنين .. والحمد لله أن قد وجدتُّك هنا .

ـ تحت أمرك سيدي .. مادام صالحك في يدي .. فهو فضل من الله تعالى .. وتأكد أنني سأبذل كل جهدي لعمله لك ..

ـ كنت على يقين من شهامتك ومروءتك .. ابني يا مؤمن إنه أسير في معسكر الخطر .. وها أنا مقبل على الموت ولم أره .. عجزت تماماً في إيجاد حيلة لإخراجه ودلّني الناس عليك .. صدّقني سافرت إلىك في مصر وانتظرتك كثيراً .. فقالوا لي أنك هنا فلم أصدق .. فقلت إن الحظ سيبتسم لي لأنني سأقابل الغلام الوحيد الذي بإمكانه إخراج ابني من السجن .

ـ لو انتظرت قليلاً يا سيدي لنفّذت لك رغبتك دون أن تطلبها .. ففي هذه الليلة بالذات أخذت قراري بضرورة اقتحام هذا المعسكر وتحرير الأسرى المسلمين بأي ثمن .

تأثر الرجل الأعرج وأخـذته الفرحة وكـاد لا يصدق نفسه . . أما عم رمضان فظلّ واجماً من كثرة الأحداث العجيبة التي تحـدث حوله ولخوفه على مؤمن . . ولكن مؤمن جذبه من زراعـه حتى ركنٍ ناءٍ في الدار وأسرّ له حديثاً . . وشعر الحضور أنه وكأنما يودعه ويشكره .

وفي اليـوم التالـي حدث اجتـماع بين مـؤمن وعم رمضان ومسعود لدراسة الوسيلة التي سيقتحم بها مؤمن المعسكر لـتحرير ابن الرجل الأعـرج ومعه مَنْ يـستطيع تحريره من أسرى المسلمين .

وقال الرجل الأعرج :

ـ اسـمع يا مـؤمن يا ولدي . . لقـد درست كل منفـذ وطريق في مـعسكر الخطر . . إنهم عـبارة عن فـ قة

المسلمين يُعسكرون فيما يشبه السجن الكبير وهذا المعسكر يبعد مسيرة ثلاثة أيام وهو فقط مستخدَم لتسخير الأسرى وتعذيبهم وحماية حدود دولتهم وهناك .. هناك يا مؤمن مكان أسفل أحد أبراج المراقبة .. رغم خطورته إلا أنه أنسب مكان لدخول معسكر الأسرى مباشرة .. ومنه يمكنك تهريب معظم الأسرى إن لم يكونوا جميعاً .. ما علينا إلا التسلل ليلاً والدخول من بين ألواح الخشب المنزوعة تحت البرج..

قال مؤمن بعد أن سادت فترة صمت:

ـ كلام طيب يا سيدي .. لقد وفّرت علينا مجهوداً كبيراً .. فنحن الآن يمكننا أن نتحرك .

قال عم رمضان :

ـ ليس الآن . . أعتقد أن بالليل يكرن الأمر أفضل . .

واتفقوا على أن يذهب مؤمن بصحبة الرجل الأعرج وحدهما حتى لا يثيروا الانتباه إذا كانوا أكثر من ذلك.

وفي الليل بدأ مؤمن والرجل الأعرج رحلتهما على جوادين حتى عبرا الغابة . . ثم ربطا الجوادين إلى شجرة :

ـ أعتقد أنه من الأفضل الآن أن نسير على الأقدام يا مؤمن . . لقد اقتربنا .

وبعد فترة سير طويلة لاح «معسكر الخطر» من بعيد بمشاعله الموقدة فوق الأسوار وأبراج الحراسة .

ـ ما هذا يا سيدي . . المكان مُضاء ولسوف يروننا . .

وإذا نجحنا في التخـفي فكيف نخفي كل الأسرى أثناء عملية الهروب ؟

ـ لا تخف يا مؤمن .. لا تخف .. أنت ترى المعسكر الآن من الجهـة المكشوفة منه .. في الناحيـة الأخرى يلتصق المعسكر بالغابـة وهي المكان الذي سنتوغل فيه ومنه سندلف إلى المعسكر ونستطيع تهريب الأسرى .

ـ كـلام طيب إذن .. هيـا بنا نقـوم بدورة حـتى نبلغ المعسكر من الجهة الأخرى .

وبعد وقت قصير كانا أمام المكان المطلوب :

ـ هيـا بنا يا مؤمن .. إنهـا فرصـتنا .. حارس البـرج ينظر في الجهة الأخرى .. هيا بنا .

وبسرعـة تعجب منهـا مؤمن كان الأعـرج قد وثب

كالفهد حتى أصبح أسفل البرج تماماً وبالفعل وجدا الألواح الخشبية في جزء منه سهلة الانتزاع . . فجذباها ثم دلفا خلفها ليصبحا داخل المعسكر ورأى مؤمن كل شيء أمامه ولكنه فوجئ بالرماح والسيوف مسددة نحوه من كل جهة . . وفوجئ بالأعرج يلقي عكازه في الهواء دون أن يعرج وكان يضحك بشدة . . وأفسحت الجنود الطريق لقائد المعسكر الذي تقدَّم من مؤمن ونظر له شذراً ثم قال للأعرج :

ـ من حقك أن تحصل الآن على المكافأة أيها الشقي العجوز . . لم أكن أصدق أنك سوف تأتِي لنا بمؤمن حياً . . بل لم أكن أتوقَّع أن تجعله يأتي لنا بمحض رغبته .

ـ أين المكافأة يا سيدي القائد . . ؟

أقتيد مؤمن في صحبة حارسين خلف القائد حتى مكتبه ومعهم الأعرج المزيَّف الذي أدى التمثيلية البارعة ليقبض على مؤمن ويحصل على المكافأة . . وهناك أخرج القائد أكياس الذهب ودفعها إليه وقال له :

ـ كن على حذر عندما تخرج من المعسكر فاللصوص كثيرة هذه الأيام أخذ الرجل الذهب وفرَّ من المكان كأنه قذيفة مدفع . . ونظر القائد لمؤمن وقال له :

ـ مرحباً بك يا مؤمن . . أخبارك تملأ الدنيا طولاً وعرضاً .

هل أطلب معرفة سبب القبض عليَّ .

ضحك القائد حتى كاد يستلقي على قفاه ثم قال :

- نحن أعداء يا صديقي الصغير .. أعداء .. هل تعرف معنى الكلمة لقد درسنا تاريخك بالتفصيل ووقفنا على مغامراتك وتوصلنا إلى أنك يا مؤمن عبارة عن خطر يعوق سيطرتنا وتوسعاتنا.

- في دولة الإسلام من هم مثلي تماماً وأنا لست فلتة أو شاذاً عن القاعدة .. أنا مجردٌ مؤمن من المؤمنين .

- لا .. هاهاها.. لا.. أنت شيء مختلف وإلا ما كنا نرصد مكافأة كبيرة بهذا القدر من أجل الحصول عليك.. أنا متأكِّد أنك كنت ستأتي لتحرير الأسرى ولولا سرعتنا في التحرُّك نحوك للقبض عليك لأمكن لك أن تفعلها.

ضحك مؤمن وقال للقائد فى ثقة :

ـ ومن قال لك أنني لن أفعلها . . إنني الآن أفعلها .

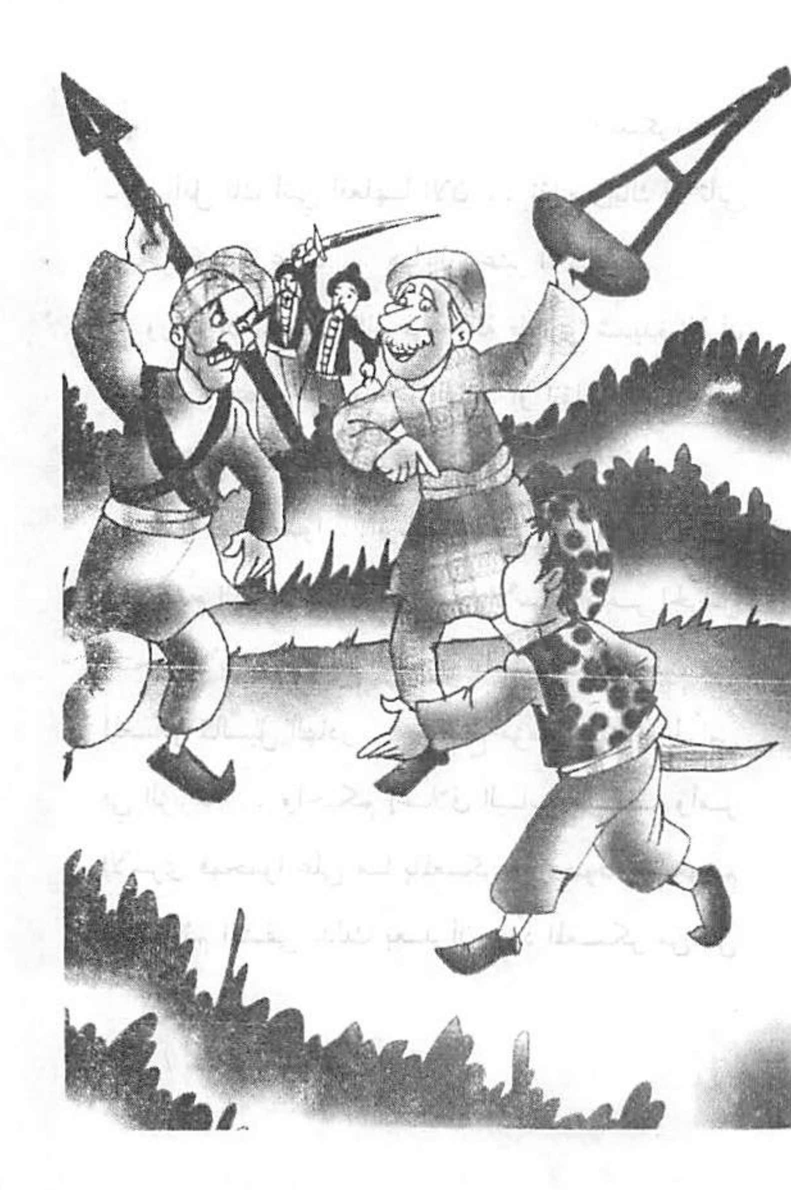
شحب وجه القائد فجأة وقال فى ذهول :

ـ ماذا . . . ماذا تقول . . ؟

وقبل أن يفيق من دهشته اندلع الصياح والصراخ في كل مكان ودخل جندي يلهث فى رعب وهو يصرخ بفزع:

ـ حريق . . حريق يا سيدي القائد . . النيران تلتهم الأسوار من كل الجهات .

وجرى الجندي دون أن يستأذن ومعه الحارسان اللذان كانا مع مؤمن لإنقاذ ما يمكن إنقاذه . . فاستل مؤمن بهدوء خنجره وقفز فوق القائد فطوقه من الخلف وغرس نصل الخنجر في جنبه وهو يقول :



ـ ألم أقل لك أنني أفعلهـا الآن .. تقدم وإياك أن تأتي بحركة تندم عليها .. هيا إلى عنبر الأسرى .

ورغم أن المعسكر كان في حالة طوارئ شديدة إلا أن أحداً لم يستطيع التقدُّم نحو القائد أو إنقاذه .. بل لقد كان يصرخ فيهم كلما اقتربوا منه :

ـ ابتعدوا .. ابتعدوا .. وسيطروا على الحريق .. هيا .

وتقدَّم القـائد المساق إلى عنبر الأسرى وأمـر الحرَّاس ففتحوا الأبواب واندفع الأسري بالعشرات يخرجون من المعـسكر كالسيل الهادر .. ووضع مؤمن القائد والحرَّاس في الزنزانة .. وأحـكم إغـلاق البـاب عليـهم وأمـر الأسرى فهجموا على مـا بالمعسكر من جنود وأشبعوهم ضـرباً ثم اكتـفى بذلك بعـد أن جرَّد المعـسكر من كل

وسائل الانتقال من عربات أو جياد أو حمير . . ووقف في النهاية أمام باب المعسكر وقام بتجميع المسلمين في صفوف متراصة وانتظر حتى ظهر عم رمضان وولده مسعود . . كانا يدوران حول سور المعسكر يذكيان النيران :

ـ أهلا يا عم رمضان . .

ـ مرحباً يا مؤمن . . مرحباً أيها الشجاع .

ونظر مؤمن إلى جذع شجرة فوجد الأعرج مقيداً إليها وهو يبكي فذهب إليه مؤمن وقال له :

ـ مَنْ يجب أن يضحك الآن يا صديقي الأعرج ؟

ـ مؤمن . . سامحني يا ولدي .

ـ أسامحك ؟ . . وكيف سمحت لك نفسك بالخيانة ؟

- أعتَرِف بأنك داهية يا مؤمن .. قُل لي كيف خدعتنا كلنا ؟ .

ضحك مؤمن وقال :

- أنا لم أخدع أحد يا أعرج .. أنت الذي جئت تخدعني فخدعت نفسك .. لم تستطيع أن تكون حذرا في التمثيلية البلهاء أخطأت في شيء مهم كنت تظن أن الخدعة ستدخل عليّ .. ولكن الله كشف زيفك .

- قل لي يا مؤمن ... كيف عرفت ؟

- أشياء كثيرة .. أولاً أنَّك لم تتقن خدعة الأعرج .. كنت تمسك العكاز في يدك اليمنى وتعرج بالقدم اليسرى .. هذا أول شيء .. قلت لي أنك سافرت

مصـر ورجعت تبـحث عنى في حين أن الوقت الذي يستغـرق رحلتك أكبر بكثير من الوقت الذي أمضـيته أنا هنا . . وقلت أنهم في مـصر أخبـروك عن مكاني وفي الحـقـيـقـة أنني لم أخـبـر أحـد عن وجـهـتي بالتـحـديد . . وكل ذلك جـعلني أتأكـد أنك جـئت لتسوقني إلى المعسكر دون قتال .

ـ عـرفت يا مـؤمن أنه لا يمكـن منازلتك أو مـحـاولة قتلك .

ـ الله يحـرسني يا سـيـدي . . والحـمـد لله . . لقـد طاوعتك حـتى أتم العمل الذي أرسلني الله من أجله هنا وهو تحرير الأسـرى، وعرفت أن دخـولي المعسكر سوف يشغل الجـميع وكانت هذه فرصـة لعم رمضان

ومسعود أن يحرقا الأسوار . . والآن ما رأيك .

ـ أنت بارع . . رهيب يا مؤمن . . ماذا أنت فاعل بي الآن ؟ . . إننى نادم على مافعلت.

ـ أنت أسير عندنا . . والمكافأة التي حصلت عليها سنبني بها سوراً منيعاً حول مدينتنا . . وفي سجن المدينة سنضعك أنت ومن بقي لدينا من جنود معسكر الخطر هذا .

ـ وإذا . . وإذا قلت لك بكل صدق أنني أريد أن أكون مسلماً فماذا تقول يا مؤمن ؟

ـ هل هي خدعة أخرى يا أيها الرجل ؟

ـ لا والله . . خذني معكم . . وأنا أقول بلساني وقلبي لا إله إلا الله محمد رسول الله .

نظر مؤمن إلى مسعود وقال له :

- حل وثاق هذا الرجل يا مسعود فقد أشهر إسلامه.. له ما لنا وعليه ما علينا .

وحل مسعود وثاق الرجل الذي كان يبكي وهو لا يصدق نفسه وأخذه مؤمن على جواد بصحبة الأسرى المسلمين المُحررين.. وانطلق الركب يجر وراءه الأسرى من الأعداء .. وفوجئوا بأهل البلدة وقد خرجوا حشوداً من بعيد يحملون المشاعل ويستقبلون العائدين .

ووقف مؤمن ينظر بعينٍ دامعة للأهل وهم يتلقون أحبابهم بعد طول البعاد وحرقة الشوق وهي تنطفئ بدموع اللقاء .. كان الرجل يحتضن أمه وزوجته وأولاده ويتساقطون على الأرض في غمرة الحنين والحب

والبكاء .. تأثر مؤمن لهذا المنظر وأحس بمدى ما فعله لهذه البلدة الطيبة ولما خاف أن يسلبه الغرور والإعجاب بنفسه ثواب العمل قال لا إله إلا الله .. فسمع الأسير المسلم الذي كان منذ قليل على دين آخر يقول مكملاً له الشهادتين :

ـ محمد رسول الله .

احتضنه مؤمن وظلا يبكيان .. ولكن الرجل مد يده في جيبه وأخرج جوهرة زرقاء تلمع كالشمس وقال له :

ـ لو كان في قلبك ذرة شك في إيماني فأنا أهديك أعز ما لديَّ حتى تطمئن .. هذه الجوهرة نتوارثها أباً عن جد .. هي لك مني هدية على سماحتك وحسن تطبيقك لما تعلمته من علم الله الواسع .

«تمت بحمد الله»